النظريات المفسرة للعنف النفسي ضد الأطفال

د. إيفا خرما * داليا عيروط *[*]

(الإيداع: 28 آب 2025، القبول: 4 تشرين الثاني 2025)

الملخص:

يعتبر العنف النفسي ضد الأطفال من أقدم الظواهر الاجتماعية التي رافقت تاريخ البشرية، ولا يزال مستمراً بأشكال وأنماط متعددة حتى يومنا هذا. هذا الاستمرار دفع كثيرًا من الباحثين إلى تناول السلوك العنيف بجميع أنواعه بالبحث والدراسة بهدف التعرف على أبرز أسبابه والعوامل المؤدية إليه. وعلى إثر ذلك، ظهرت عدة تفسيرات للعنف النفسي، تختلف وفقًا لتعدد المقاربات النظرية التي تناولته بالدراسة والتحليل.

ومن خلال مراجعة الإرث النظري المتعلق بالعنف النفسي، يتبين أن المقاربة النفسية تُعدّ واحدة من أبرز الجوانب البحثية التي حاولت تحليل هذه الظاهرة وفهمها والتعرّف على أسباب انتشارها على مختلف مستويات المجتمع، سواء في المؤسسات أو في الأماكن العامة أو على مستوى الأفراد، بالإضافة إلى تناول سبل مواجهتها.

استنادًا إلى ذلك، ستتناول هذه الدراسة مفهوم العنف النفسي ضد الأطفال بأشكاله المتعددة، مع تسليط الضوء على مجموعة من المفاهيم المرتبطة به. كما سيتم استعراض نظريات متنوعة ضمن إطار المقاربة النفسية للعنف، والتي سعت إلى تفسير هذه الظاهرة وفهم ديناميتها وتطورها.

الكلمات مفتاحية: النظرية النفسية، تأثير العنف النفسي، تأثير العنف على الأطفال، الصحة النفسية للأطفال

*طالبة دكتوراه – قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سورية.

The theories explaining psychological abuse against children

Dr. Eva Kharma* **Dalia Ayrout*****

(Received: 28 Augast 2025, Accepted: 4 November 2025)

ABSTRACT:

Psychological violence against children is one of the oldest social phenomena that has accompanied human history, and it continues in various forms and patterns to this day. This persistence has prompted many researchers to investigate and study violent behavior of all kinds, with the goal of identifying its most prominent causes and the factors that lead to it. As a result, several interpretations of psychological violence have emerged, varying according to the various theoretical approaches that have studied and analyzed it.

By reviewing the theoretical legacy related to psychological violence, it becomes clear that the psychological approach is one of the most prominent research aspects that has attempted to analyze and understand this phenomenon and identify the reasons for its spread at various levels of society, whether in institutions, in public places, or at the individual level, in addition to addressing ways to confront it.

Accordingly, this study will address the concept of psychological violence against children in its various forms, highlighting a set of related concepts. It will also review various theories within the framework of the psychological approach to violence, which seek to explain this phenomenon and understand its dynamics and development.

Keywords: Psychological theory, impact of psychological violence, impact of violence on children, children's mental health

* professor, Department of sociology, Faculty of Arts Humanities, Latakia University, Syria.

** Master student, Department of sociology, Faculty of Arts Humanities, Latakia University, Syria.
daliaayrout911@hama-univ.edu.sy

المقدمة

يُعتبر العنف ضد الأطفال من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات العالمية، إذ يُشكل تهديداً جسيماً للتطور النفسي والاجتماعي للأطفال. وتشير الدراسات إلى أن الأطفال الذين يتعرضون للعنف، سواء كان جسدياً أو جنسياً أو عاطفياً، يواجهون تداعيات طويلة الأمد تُؤثر على كافة جوانب حياتهم النفسية والاجتماعية. فالتعرض للعنف لا يقتصر فقط على إحداث ضرر جسدي مباشر، بل يُعطل أيضاً مسار النمو الطبيعي للأطفال، مما يؤدي إلى مشكلات في التطور المعرفي والسلوكي والاجتماعي والعاطفي (DeVoe et al, 2005:28). وتزداد خطورة الوضع عندما تستمر آثار هذا العنف إلى مرحلة البلوغ، حيث يترك بصمة واضحة على قدرة الفرد في تكوين علاقات صحية والتفاعل الإيجابي مع محيطه (Fabris & Longobardi, 2023:13).

تُظهر العديد من الدراسات أن الأطفال الذين يعانون من العنف النفسي منذ سن مبكرة يكونون أكثر عرضة لتحديات نفسية مثل الاضطرابات العاطفية وعدم القدرة على التعامل بمرونة مع البيئة المحيطة بهم. وتتجلى هذه المشكلات في مظاهر مثل زيادة السلوك العدواني والقلق والاكتئاب، بالإضافة إلى التأثير السلبي على النمو الاجتماعي الذي يُعد أساساً لبناء شخصية الطفل (Devaney, 2008:18). ويُعتبر العنف النفسي من أخطر أشكال الإساءة، حيث لا يترك آثاراً واضحة على المظهر الخارجي فقط، بل يخلق مشكلات تستمر على مدى الحياة، مما يؤكد الحاجة إلى فهم أعمق لهذه الظاهرة ودراستها بشكل منهجي.

يسعى هذا البحث إلى مناقشة النظريات المتعلقة بمفهوم العنف النفسي ضد الأطفال وتحليل العوامل الاجتماعية والنفسية التي تؤثر فيه. كما يستعرض الأساليب المختلفة والقابلة للتطبيق في التعامل مع الأطفال الذين تعرضوا لهذا النوع من الإساءة، والآثار الناجمة عليها من منظور قصير وطويل المدى.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تُعد ظاهرة العنف النفسي ضد الطفل من أكثر أشكال الإساءة تأثيرًا على نمو الطفل النفسي والاجتماعي، إلا أن أغلب الدراسات ركّزت على بعد واحد–نفسي أو اجتماعي–دون اعتماد رؤية شاملة تربط بين العوامل الفردية والأسرية والاجتماعية، مما أدى إلى قصور في تفسير أسباب الظاهرة وآثارها. ومن هنا تظهر مشكلة الدراسة في البحث عن مدى قدرة النظريات النفسية والاجتماعية المختلفة على تفسير العنف النفسي ضد الطفل، مع تحديد أوجه القوة والقصور في كل نظرية. وانطلق البحث من **التساؤل الرئيس:**

إلى أي مدى تسهم النظريات النفسية والاجتماعية في تفسير العنف النفسي ضد الطفل، وما أوجه الاتفاق والاختلاف بينها في تحليل هذه الظاهرة؟

التساؤلات الفرعية:

1. ما أهم المفاهيم النظرية المرتبطة بالعنف النفسي ضد الطفل؟
2. كيف فسّرت النظريات المختلفة العنف النفسي ضد الطفل؟
3. ما أبرز أوجه القصور في كل نظرية؟
4. ما مدى إمكانية بناء رؤية تكاملية تجمع بين هذه النظريات لتفسير الظاهرة؟

أهمية البحث

تبرز أهمية هذا البحث في نقاط متعددة تسلط الضوء على جوانب مختلفة للعنف النفسي وتأثيره على الأطفال:

1- استعراض الآثار المباشرة وغير المباشرة التي يحدثها العنف النفسي على الحالة النفسية والسلوكية للأطفال.

2- فهم طبيعة التأثيرات السلبية للنمو الاجتماعي للأطفال، بما يشمل المهارات الاجتماعية مثل بناء العلاقات والحفاظ عليها، والتفاعل الإيجابي مع الأقران والبالغين، بالإضافة إلى انعكاسات ذلك على مستوى الثقة بالنفس.

3- تحديد الأساليب والآليات التي يمكن تفعيلها للتخفيف من الآثار السلبية الناجمة عن التعرض للعنف النفسي، وبحث مدى فعالية هذه الاستراتيجيات في مساعدة الطفل للتغلب على تلك التجارب المؤلمة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المهمة، وهي:

1- تقييم التأثيرات النفسية والاجتماعية الناتجة عن العنف النفسي الذي يتعرض له الأطفال.

2- دراسة تأثير العنف النفسي على السلوك الاجتماعي للأطفال، مع التركيز على تطور شخصيتهم، وقدراتهم على التواصل الاجتماعي، ومستوى اندماجهم في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

3- فهم العلاقة بين التعرض للعنف النفسي وتأثيراته الممتدة خلال مرحلة المراهقة والرشد، والتغييرات التي تحدث في الجوانب المختلفة لشخصيات الأفراد المتأثرين.

4- اقتراح وتطوير استراتيجيات فعّالة للتعامل مع الأطفال الذين تعرضوا للعنف النفسي، وتقديم حلول مستدامة تهدف إلى تقليل آثار هذه الظاهرة الضارة وإعادة بناء ثقتهم بأنفسهم وتمكينهم من النمو بطريقة صحية وسليم.

فرضيات البحث:

1. النظريات النفسية قادرة على تفسير مظاهر العنف النفسي ضد الطفل بدرجة عالية مقارنة بالنظريات الاجتماعية.

2. النظريات الاجتماعية تفسر العوامل البيئية والاجتماعية المؤدية للعنف النفسي، لكنها أقل قدرة على تفسير التأثيرات الفردية.

3. دمج النظريات النفسية والاجتماعية في إطار تكاملي يوفر تفسيرًا أكثر شمولاً للعنف النفسي ضد الطفل.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة العنف النفسي ضد الأطفال والنظريات المفسرة لهذا العنف، فالمنهج الوصفي يركز على دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بوصف طبيعة وسمات وخصائص مجتمع ما أو جماعة؛ وذلك بافتراض سابق للدراسة أو بدونه.

الدراسات السابقة:

1- **دراسة سهام (2017) بعنوان: العنف الأشكال والعوامل والنظريات المفسرة له**، الجزائر.

هدفت هذه الدراسة الى تحليل ظاهرة العنف ومن بينها العنف النفسي ضد الأطفال والربط بين جميع مقومات الظاهرة، ومحاولة الإحاطة بجوانبها من خلال تعريفها والاشكال التي تأخذها، والدوافع والعوامل الأساسية التي أدت على انتشارها، والتي تتداخل فيها مجموعة من العوامل السيكولوجية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والتي تتخللها بدورها عوامل فرعية، تأخذ مقومات الوجود الاجتماعي الأساس فيها وتفرز مظاهر للعنف كالعنف الاسري، المدرسي، الأخلاقي، السياسي، وغيرها من مظاهر العنف.

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال التطرق إلى مختلف النظريات المفسرة لظاهرة العنف و التي انطلقت من التفسير البيولوجي ، التفسير السيكولوجي من خلال نظرية التحليل النفسي ورؤية علم النفس الاجتماعي للظاهرة التي تجمع ما بين ما هو نفسي و اجتماعي في تفسير الظاهرة ، كذلك النظريات الاجتماعية للعنف و التي تتفرع عنها مجموعة من النظريات منها نظرية الإحباط و العدوان ، نظرية التعلم الاجتماعي و التي تتفرع عنها نظرية التعلم بالتقليد وتفسير مدرسة "أدلر" التي تهتم بالجانب الاجتماعي كأساس مولد للعنف ، ونظرية ثقافة العنف .

وتقدمت الباحثة في نهاية البحث بالعديد من المقترحات التي تساعد على القليل من العنف أهمها:

- الاعتماد على الأسلوب العلمي في مواجهة العنف لأنه السبيل الأكثر نضجاً من للتخفيف من آثاره، وذلك بتبني العديد من الاستراتيجيات والسياسات التي تسعى الى إصلاحات جذرية وعميقة في كافة الأنظمة الاجتماعية وخاصة في مجال العدالة في التوزيع.
- جعل الوقاية من العنف ومنعه احدى أولويات التنمية وخاصة في مؤسسات التنشئة الاجتماعية.
- العمل على انجاز دراسات وبحوث وبرامج إعلامية وتوعية والتي تعمل من خلالها على إرساء قاعدة لرفض ثقافة العنف.
- العمل على مراجعة الثغرات القانونية فيما يخص العقوبات والردع والعمل على تطبيقها.

2- دراسة أحمد، (2023م) بعنوان: إساءة معاملة الأطفال (الوقاية والعلاج من وجهة نظر الخدمة الاجتماعية): دراسة حالة بعض المترددين على وحدة حماية الأسرة والطفل أمدرمان، السودان.

انطلقت مشكلة الدراسة من سؤال جوهري: هل هناك علاقة بين البيئة المحيطة للطفل وتعرضه لإساءة المعاملة؟ وكان من أهداف الدراسة الكشف عن الأسباب التي أدّت إلى إساءة معاملة الطفل. أيضا التعرف على الظروف المحيطة بالطفل في العوامل الأسرية التي أدّت إلى سوء المعاملة. ومن أهدافها ايضا التعرف على الظروف الاقتصادية للطفل التي أدّت إلى سوء المعاملة. وتجلت أهمية الدراسة في أنها تضيف بعداً اجتماعياً ومؤسسياً (خدمة الحماية، الظروف الأسرية والاقتصادية) إلى تفسير إساءة معاملة الأطفال. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتم جمع بيانات من عيّنة من المترددين على الوحدة. وتوصلت الدراسة إلى أبرز النتائج التالية: انخفاض المستوى التعليمي للوالدين، تفكّك الأسرة أو غياب أحد الوالدين، ارتباط بين سلوك الطفل (المتعاون/أو غيره) وتعرضه للإساءة.

3- دراسة فاطمة (2023) بعنوان ماهية العنف: مفهومه، أنواعه، مظاهره وأهم النظريات المفسرة له،الجزائر.

أوضحت هذه الدراسة أن العنف بشكل عام والعنف النفسي ضد الأطفال من أهم الظواهر الاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات اليوم، فقد أخذت ظاهرة العنف النفسي ضد الأطفال حيزاً كبيراً من الواقع المجمعي، فقد ارتبط مفهوم العنف بالكثير من الظواهر كالعنف الاسري، الإرهاب، العنف الاجتماعي وغيرها.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث فقد وجد الباحث أن هذا المنهج هو المنهج المناسب لدراسة الظواهر المختلفة للعنف عامة، والعنف النفسي ضد الأطفال خاصة

هدفت هذه الدراسة الى فهم الباحث مختلف جوانب العنف فهماً صحيحاً، حتى يتمكن من معرفة مختلف مكوناتها ويتسنى للباحث من معالجتها بطريقة علمية وفقاً لأسس منهجية تسمح له بتجديد الظاهرة والتحقق من آثارها. وفي نهاية البحث توصل الباحث الى العديد من النتائج أهمها:

- ان العنف ليس وليد اليوم بل هو ظاهرة اجتماعية قديمة قدم التاريخ الإنساني
- تعددت آراء المفكرين حول موضوع العنف عامة والعنف النفسي خاصة حيث لكل منهم رؤيته الخاصة.
- تساعد النظريات المفسرة للعنف النفسي على كشف الستار عن هذه الظاهرة ومحاولة فهمها وإيجاد الحلول المناسبة لها بغية التحكم بها

مناقشة الدراسات السابقة:

يتشابه بحثنا الحالي مع الدراسات السابقة ويختلف أيضاً في مواضيع أخرى، حيث شابه الدراستان بالمنهج البحث، حيث استخدموا المنهج الوصفي التحليلي. واختلف بحثنا عن الدراسات السابقة من حيث زمن الدراسة، كما تناول بحثنا موضوع الدراسة المحدد بالنظريات المفسرة للعنف النفسي ضد الاطفال بشكل أوسع من كل الدراسات السابقة، إضافة الى النتائج التي توصلت لها الدراسات السابقة ومنها بأن ظاهرة العنف النفسي ضد الأطفال هي مجموعة من العوامل المتفاعلة البعض منها ذاتي والبعض الاخر راجع لمواقف الحياة التي نعيشها بما يتخللها من احباطات وصراعات وثواب وعقاب

والبعض الآخر الذي ينجم عنه العنف النفسي يكمن في التنشئة الاجتماعية والتي يتعرض لها الطفل من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وهذه النتيجة تعتبر نتيجة عامة توصلت لها جميع الدراسات السابقة وأيضاً بحثنا الحالي.

المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالبحث:

1- العنف:

يعرف العنف بأنه مجموعة من التصرفات أو السلوكيات التي تهدف إلى إلحاق الضرر بالنفس أو بالآخرين، ويمكن أن يأخذ طابعًا بدنيًا مثل الضرب، التشاجر، التدمير، وإتلاف الأشياء، أو طابعًا لفظيًا كالتلفظ بالتهديد، إثارة الفتنة، الغمز، أو إطلاق النكات الجارحة. ويتسبب العنف في النهاية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، في إلحاق الأذى بالأشخاص المتأثرين (عبد اللطيف، 2001: 97).

من ناحية أخرى، يرى العالم "أدلر" أن العنف يُعد استجابة تعويضية ناتجة عن الشعور بالنقص أو الضعف (عمارة، 1986: 194). أما "بيرفيو"، فيُعرّفه كحالة ضعف جسدي أو معنوي ذات طابع فردي أو جماعي، يمارسها الإنسان على الإنسان الآخر (إبراهيم، 1996: 43).

أما التعريف الاجرائي للعنف فهو سلوكًا يتسم بالقسوة والعدوانية والقهر والإكراه. ويتمثل هذا السلوك عادة في تصرفات بعيدة عن التمدن والتحضر، حيث تظهر فيه الدوافع العدوانية بوضوح شديد وبطريقة بدائية. وتشمل هذه التصرفات الضرب، التقليل من شأن الآخرين، تدمير الممتلكات، واستخدام القوة لإخضاع الخصوم وقهرهم.

2- العنف النفسي:

تتعدد التسميات المتعلقة بمفهوم هذا النوع من العنف، إذ يُشار إليه أحيانًا بالعنف النفسي أو الإيذاء العاطفي. يرى البعض أن العنف النفسي يشمل التهديد، التخويف، الإيذاء اللفظي، أو إجبار الفرد على القيام بأمور غير واقعية. (كاتبي ، 2012: 12)

يُعرّفه بعض الخبراء على أنه أي سلوك أو فعل متعمّد يصدر من أحد الوالدين، كليهما، أو المحيطين بالطفل، وقد يكون من غرباء تجاه الطفل أو أحد أفراد الأسرة. يؤدي هذا السلوك إلى إلحاق أضرار نفسية بالطفل عبر اتباع ممارسات تسبب له ألماً نفسياً، مثل السخرية منه، الإهمال، النبذ، التهديد، التخويف، توجيه عبارات جارحة، سوء المعاملة، التفرقة بينه وبين إخوته، أو حرمانه من المشاعر الإيجابية كالعطف والمحبة والحنان. وتشمل هذه التصرفات جميع السلوكيات التي تفضي إلى إيذاء نفسي للطفل كنتيجة مباشرة لها. (النجار ، 2009: 21)

أما التعريف الاجرائي للعنف النفسي هو سلوك تدميري للنفس يقوم به المعتدي على الطفل يشمل: الرفض، والعزل، والترهيب، والتجاهل، والإهانة، والسب والشتم وتقييد حريته، وتحميل مسؤوليات تفوق قدراته، وممارسة التمييز ضده أو أي شكل من أشكال التعامل السيء المبني على بيرقي الكره والرفض، والذي يؤدي بدوره للأذى في تطور الطفل الجسدي والعقلي والعاطفي والأخلاقي والاجتماعي

3- الطفل:

الطفل عند علماء الاجتماع يعرف في ثلاثة أوجه هي:

الأولى: هي من مرحلة التكوين ونمو الشخصية وتبدأ من الميلاد حتى طور البلوغ.

الثانية: إن الطفولة تتحدد حسب السن حيث يسمى طفلاً من لحظة الميلاد حتى سن الثانية عشر من عمره.

الثالثة: الطفولة هي مدة الحياة من الميلاد الى الرشد، وتختلف من ثقافة الى أخرى وقد تنتهي عند البلوغ أو عند الزواج (محمد ، 1993: 15).

والطفل عند علماء النفس: إذ يعد علماء النفس إن الطفولة تبدأ من لحظة وجود الجنين في بطن أمه، وهذه الفترة تعتبر من أهم وأخطر مراحل عمره على الإطلاق، وعلى هذا تطور الطفولة يبدأ بالمرحلة الجينية وينتهي بالبلوغ الجنسي (الريماوي ، 1998: 143).

أما التعريف الاجرائي للطفل هو المرحلة العمرية التي يعيشها الإنسان وهو تحت سن الثامنة عشر، وهي كلمة مشتقة من طفيل، والطفيل هو الذي يعتمد على الآخرين.

العنف ضد الاطفال:

يُعرف العنف ضد الأطفال بأنه الاستخدام غير المشروع للقوة الجسدية بطرق متعددة تهدف إلى إلحاق الأذى بالأطفال، ويتضمن ذلك ممارسات مثل العقاب المفرط، الاغتصاب، والتعدي على حريات الآخرين. وقد عرّفه البعض بأنه سلوك يتسم بإنكار الكرامة الإنسانية وانتهاك احترام الذات.

علاوة على ذلك، يُعبّر عن العنف ضد الأطفال بأشكال متعددة، منها الاعتداء الجسدي أو العاطفي أو الجنسي، وكذلك الإهمال أو الاستغلال الذي يضر برفاه الطفل أو كرامته أو نموه النفسي والجسدي أو حتى بقائه. يشمل ذلك الاعتداء الجسدي مثل الضرب، والإيذاء العاطفي على غرار الإهانة المستمرة أو النقد القاسي، فضلًا عن الاستغلال الجنسي والإهمال في تلبية الاحتياجات الأساسية للطفل (Mascenik, 2021, p.18)

فالتعريف الاجرائي للعنف ضد الأطفال بأنه ممارسة مفرطة وغير متناسبة للقوة، تتجاوز الحدود المقبولة اجتماعيًا، وتشمل لغة التداول بين الجماعات أو الأفراد سواء كانوا منخرطين في أنشطة إجرامية أو مسلحة. وقد يظهر هذا العنف في صورة كلمات جارحة أو أفعال مؤذية.

الفصل النظري

أولاً: أنواع العنف النفسي الذي يُمارَس ضد الأطفال

يمكن تصنيفه إلى:

1- **العنف النفسي اللفظي:** هذا النوع يتجسد في استخدام كلمات قاسية تسبب جروحًا عاطفية للطفل، مما يضعف من ثقته بنفسه ويتركه في حالة من الهشاشة النفسية. بالإضافة إلى ذلك، يتم التعبير عن هذا السلوك باستخدام عبارات تهديد وتخويف، أو الخوض في موضوعات مروعة مثل القتل أو التجويع، مما يخلّف أثراً سلبياً مباشراً على التوازن النفسي للطفل. يظهر ذلك من خلال إحساسه بالخوف المستمر من العقوبة، وتزايد مشاعر الاكتئاب التي تهيمن عليه. هذه الظروف قد تدفع الطفل إلى تنمية مشاعر الكراهية، أو اللجوء إلى الوحدة والانطواء على نفسه، وقد يتطور الأمر إلى تبني أنماط سلوكية عدوانية تعبر عن المعاناة المكبوتة داخله، سواء كانت موجهة نحو نفسه أو الآخرين. (الريماوي ، 1998: 150).

2- **عنف الإهمال:** يتعلق هذا المفهوم بعدم توفير الرعاية الملائمة التي تتناسب مع المرحلة العمرية للطفل، وهو سلوك سلبي يعكس غياب استجابة الوالدين لاحتياجات الطفل الأساسية، مما قد يؤدي إلى تعرضه لأضرار جسدية أو عاطفية. يتجسد هذا الإهمال في صور متعددة، مثل تجاهل احتياجات الحب والاهتمام والتقدير، أو تعريض الطفل لمواقف تسبب له أذى نفسي كالمشاحنات والخلافات المستمرة بين الوالدين، أو وضعه في بيئات تفتقر إلى الأمان والاستقرار النفسي. (Mascenik, 2021: 29).

3- **العنف العاطفي:** يعرف العنف النفسي أو الإساءة النفسية بأنه نوع من السلوكيات المؤذية التي تُمارس عادةً من خلال مضايقات لفظية متكررة من قِبل الوالدين أو المحيطين بالطفل. يتمثل هذا العنف في النقد المستمر، التهديد، السخرية الدائمة، أو التلاعب بمشاعر الحب الموجهة للطفل. ويتجلى أيضًا في أفعال مثل إثارة الخوف بداخله، الحط من قدره، أو تعمد إزعاجه بطرق تؤثر سلبًا على توازنه العاطفي وحالته النفسية.

4- التفاعل الضار مع الطفل يشمل إشعاره بعدم القيمة أو عدم المحبة، تعريضه للخطر، ترهيبه، تهديده، استغلاله، إفساده، ازدراءه، نبذه، عزله، تجاهله، التحيز ضده، ومجافاته، إضافة إلى إهمال صحته العقلية واحتياجاته الطبية والتعليمية.

5- التعرض للشتم والإهانة والاحتقار والاستهزاء بمشاعر الطفل، إضافة إلى مشاهدته للعنف الأسري. وكذلك تعريضه للحبس الانفرادي أو العزل أو الاحتجاز في ظروف تنطوي على الإذلال والإساءة لكرامته. (محمد ، 1993: 34)

يُشير التسلط النفسي من قبل البالغين أو الأطفال تجاه الآخرين، بما في ذلك استخدام تقنيات المعلومات والاتصالات مثل الهواتف المحمولة والإنترنت، إلى ممارسة تُعرف بالتنمر عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ثانياً: نتائج العنف النفسي الممارس ضد الطفل

من المؤكد أن لكل فعل رد فعل عليه والعنف الممارس على الطفل له ردات اهتزازية سيشعر بها الجميع بما فيهم مصدر العنف وإن أردنا أن نجري مقارنة بين طفلين احداهم يربى بطريقة سليمة لا عنف فيها والثاني يمارس ضده العنف المتنوع لوجدنا أن هناك فرق شاسع بينهما والكفة تميل لصالح الطفل الأول الذي يربى بطريقة سليمة بينما الطفل الثاني لديه مشكلات جمة سببها العنف ضده، ومن أهم نتائج العنف النفسي ضد الأطفال:

- فقدان الطفل الثقة ويصبح الطفل مرتبك لا يملك أدنى مقومات الثقة بنفسه.
- العنف النفسي يزرع الخوف في قلب الطفل مما يدفعه للخطأ كثيراً بسبب هذا الخوف الذي يفقده التركيز والتفكير السليم.
- الطفل الذي يعاني من العنف النفسي يكون مكسوراً أمام أقرانه وضعيف الشخصية وغالباً سيتعرض للعنف منهم أيضاً لعدم ثقته بنفسه على أنه قادر على الدفاع عن نفسه لأن هناك من حطم شيء في نفسه من الصعب إصلاحها.
- قد يعاني الطفل المعنف نفسياً من مشاكل وأمراض نفسية كثيرة مثل الاضطرابات النفسية والكآبة في شخصيته.
- مظاهر العنف لا ينساها الطفل بل تبقى معه حتى يكبر وخاصة إن عانى عنف نفسي قوي يؤثر على شخصيته.
- الطفل المعنف نفسياً سيتأثر بالعنف وتتأصل فكرة العنف في نفسه وهو سيصبح في المستقبل رب أسرة، ومن المحتمل أن يمارس ضده العنف من قبل أبنائه ومن جهة معاكسة قد يقدم الأب على فتح الأبواب أمام أولاده في المستقبل لا يعمل على استخدام أي أسلوب قاسي معهم لأنه لا يرغب أن يعاني أولاده مما عانى منه هو شخصياً وهنا أن تمتع أولاده بحرية مطلقة سيسبب لهم أيضاً الكثير من المشكلات ومردها الساسي هو العنف النفسي الذ مورس من قبل الاب ودفعه للتعامل مع الأطفال بحرية مطلقة فاسدة.
- العنف يولد الحقد والكره في القلب ضد من يمارس العنف لذلك نجد أحياناً أسر لا تجد فيها أي ترابط أسري بل مفككة الأولاد لا يكنون الحب والاحترام للأهل لأنهم لا يرحمونهم بل يعنفونهم وغير ذلك الكثير والكثير.
- العنف النفسي ضد الطفل يدفعهم أحياناً إلى الانتقام من الأهل بشيء يحبونه أو يتعمدون توجيه الإهانة لهم.
- الفشل العام في حياة الطفل المعنف أمر وارد وبقوة والفشل قد يطال دراسته أو علاقاته الاجتماعية وغيرها وهذا الفشل يدمر مستقبل الطفل وخاصة إن أقنع نفسه أنه فاشل لا جدوى منه. (النجار ، 2009: 16)

ثالثاً: العنف النفسي من وجهة نظر مختلف المقاربات النظرية

شهد موضوع العنف النفسي ضد الأطفال تنوعًا كبيرًا في المقاربات النظرية التي تناولته بالدراسة، حيث سعى الباحثون إلى تحديد طبيعته بناءً على اختلاف وجهات النظر والمواقف الفكرية التي انطلقوا منها. وقد انعكس هذا التنوع بشكل جذري على طرق فهم هذه الظاهرة متعددة الأبعاد والمظاهر، مما ساهم في جعلها موضوعًا مركزيًا لحقول شتى من العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تناولتها من زوايا متباينة.

في هذا السياق، يمكن مناقشة العنف النفسي ضد الاطفال وفقًا لأبرز المقاربات النظرية التي شكلت أساس تفسيراته الكبرى. ومن بين هذه المقاربات تأتي التفسيرات النفسية والبيولوجية والاجتماعية للعنف، خصوصًا فيما يتعلق بالعنف النفسي الموجه ضد الأطفال:

1- المقاربة النفسية:

تنطلق المقاربة النفسية، وتحديدًا مدرسة التحليل النفسي التي أسس أطرها النظرية سيغموند فرويد، من تصور يعتبر العنف تعبيرًا عن سلوك شعوري واع ينبع من غريزة "الموت". وقد أشار فرويد إلى هذه الغريزة باعتبارها مسؤولة عن عمليات التدمير ذات الطابع الغريزي، موضحًا أن الدافع نحو العنف يرتكز على صراع جوهري بين غريزتين متناقضتين: غريزة الموت، التي تسعى إلى إنهاء الحياة أو تدميرها، وغريزة الحياة، المسؤولة عن استمرار الحياة وحفظ الفرد.

تقوم نظرية التحليل النفسي على تفسير الشخصية الإنسانية بوصفها بنية صراعية تتجاذبها ديناميات نفسية متعددة ومتناقضة. وفقًا لفرويد، فإن دوافع العنف يمكن أن تتجلى في شكل نزوات هدامة موجهة إما نحو الذات أو نحو الآخرين، وهي ما أطلق عليها مصطلح "نزوات الموت". عندما تكون هذه النزوات موجهة نحو الذات، فإنها تؤدي إلى سلوكيات ذاتية التدمير، أما إذا توجهت نحو الآخر، فتتخذ شكل عدوان أو تدمير خارجي.

وفقًا لفرويد، يعتبر العنف سلوكًا واعيًا ينبع من غريزة الموت التي افترض وجودها، وهي المسؤولة عن مظاهر التدمير. ويرى أن الشخصية الإنسانية تقوم على ثلاث مكونات أساسية متناقضة ومتفاعلة، وهي الهو، الأنا، والأنا الأعلى. وفقًا لفرويد، يعود السلوك الإجرامي إلى ضعف الأنا الأعلى أو انعدامها بالكامل، مما يؤدي إلى تراجع القدرة على ضبط النفس وقمع الدوافع العدوانية ذات الطابع الاجتماعي. كما يشير إلى أن العنف ينشأ نتيجة الصراع الداخلي لدى الإنسان بين دوافعه الشخصية وبين القيود التي يفرضها العالم المادي الذي يعيش فيه. (Diathine Gilbert (2003): p26)

سعى فرويد في دراساته إلى تسليط الضوء على الجوانب الغامضة للنفس البشرية بهدف كشف الطبيعة المعقدة لهذا الكائن الذي يزعم البراءة والخير المطلق. حيث يعتقد فرويد بوجود نزعات عدائية مستترة تجاه الآخرين المقربين، وهي نزعات مهيأة لأن تتحول إلى سلوك عدواني خارجي. ووفقًا لفرويد، فإن الوجود الإنساني تحكمه ديناميكيات عدائية، تتمثل في عدوانية الفرد ضد الجماعة والجماعة ضد الفرد. الإنسان بطبيعته يُظهر ميولًا لتلبية حاجاته العدوانية على حساب الآخرين من خلال استغلالهم دون تعويض، والتعدي على حقوقهم عاطفيًا وماديًا. هذه الميول قد تصل إلى مستويات قصوى تشمل التطرف مثل الاضطهاد والقتل. (منى ، 2006: 174)

أما أصحاب المدرسة الديناميكية، فيؤكدون أن العنف ينشأ نتيجة التفاعل بين الذات ومعطيات العالم الملموس. فعندما يواجه الإنسان عقبات تعوق تحقيق رغباته، يدخل في حالة من الصراع النفسي الناتج عن قوة متساوية تدفعه في اتجاهات مختلفة. هذا التشتت الداخلي يولد شعورًا بالتوتر والصراع، والذي يتجلى في سلوكيات عدوانية وعنيفة نتيجة تلك الديناميكيات المتداخلة. (هدية ، 1998: 18)

من منظور مختلف، ترى ميلاني كلاين أن جذور العنف تتشكل منذ الطفولة المبكرة في العلاقة الأولية بين الطفل وأمه خلال تجربة الرضاعة. هذه التجربة تؤدي إلى تشكيل صورة ذهنية عن الأم وعن الذات. ففي حالة كانت تجربة الرضاعة

مشبعة ومنتجة للشعور بالطمأنينة، تتكون لدى الطفل صورة إيجابية عن الأم تُعرف باسم "صورة الأم الصالحة". أما إذا كانت تجربة الرضاعة محبطة ومؤلمة للطفل، فإن ذلك يؤدي إلى تشكيل صورة سلبية عن الأم.

هذه الصورة الذهنية للأم، سواء كانت إيجابية أو سلبية، تعتبر النواة الأساسية التي تؤثر على تصورات الطفل المستقبلية عن الآخرين والعالم المحيط به وعن ذاته النفسية. فالصورة الإيجابية للأم تؤدي إلى تكوين ذات متوازنة وأنا أعلى ودود قادر على التفاعل مع الآخرين بسلوك إيجابي. أما الصورة السلبية فتساهم في تكوين ذات عدائية وأنا أعلى قاسي يمارس العنف ضد الآخرين بدافع الدفاع عن الذات وتخوفًا من الانتقام المحتمل منهم. هذا الخوف المتبادل قد يدفع الفرد إلى المزيد من السلوكيات التدميرية التي تزيد حدة القلق والتوتر الداخلي لديه، مما يعزز ميله نحو العنف والعدوان بشكل أكبر وفقًا لتفسير كلاين (بكري وعجوز، 2007: 29).

يركّز رايش في تفسيره للعنف على مجموعة من المبادئ الأساسية، حيث يرى أن كل توتر عدواني ينشأ نتيجة للإحباط، وأن شدة العدوانية ترتبط بزيادة عوامل الإحباط. كما يعتقد أن قمع العدوان أو إحباطه يؤدي إلى ظهور عدوانية لاحقة، بينما قد يعمل تفريغ هذه العدوانية على التقليل من شدتها سواء بشكل مؤقت أو دائم. وفي الحالات التي يصعب فيها توجيه العدوان نحو الخارج، تميل العدوانية إلى التركز نحو الذات (حجازي، 1980: 190).

في السياق نفسه، سعت العديد من المقاربات النفسية إلى دراسة العلاقة بين مظاهر العنف وسمات الشخصية. ومن هناك برز مفهوم "الشخصية المجرمة"، الذي يعرف أيضاً بنظرية النواة المركزية للشخصية المجرمة (Pinatel, J, 1977 :85). تعتبر هذه النظرية من أوائل المحاولات التي أشارت إلى أن بعض السمات الشخصية، مثل الأنانية وعدم الاكتراث بالمواقف العاطفية، يمكن أن تكون عوامل مساعدة على ارتكاب السلوك الإجرامي. وقد أسهمت هذه الأفكار في تطوير أدوات لتشخيص الشخصية المجرمة تشمل سمات مثل ضعف التحكم الذاتي وعدم التسامح مع الإحباط.

يربط بعض علماء النفس تفسير العنف بالإحباط، حيث يُعرّف الإحباط بأنه استجابة عنيفة تظهر عند مواجهة عائق يحول دون الوصول إلى هدف مرغوب. في مثل هذه الحالات، يميل الفرد إلى توجيه عدوانه نحو المصادر التي تعيق تحقيق أهدافه أو تمنعه من التعبير عن رغباته وانفعالاته. إلا أن هذا لا يعني أن الإنسان عنيف بطبيعته، بل إن العنف غالباً ما يكون نتيجة للإحباط الذي يتعرض له (طاوس، 2010: 125).

ويرى بعض الباحثين بأنه عندما يجد الفرد نفسه عاجزاً عن إشباع احتياجاته بسبب إحباط ما، فإن ذلك يسبب له التوتر. ويمكن أن يؤدي هذا التوتر إلى ردود فعل مختلفة بحسب الأشخاص والظروف المحيطة؛ فالبعض قد يلجأ إلى العدوان كطريقة للتعامل مع الإحباط، بينما قد يشعر آخرون بالخوف الشديد ويتراجعون أو يفشلون في التكيف مع المشكلة. وفقاً لأنصار هذا التوجه، فإن الإحباط يولد دافعاً عدوانياً يؤدي إلى سلوك يهدف إلى إيذاء الآخرين. ويُعتقد أن هذا الدافع ينخفض تدريجياً بعد أن يحقق الفرد التنفيس عن غضبه، وهذا ما يُعرف بعملية التفريغ. وتبعاً لهذه النظرية، الإنسان ليس بطبيعته عدوانياً. (بكري وعجوز، 2007: 38).

ومع ذلك، يُلاحظ أن الإحباط لا يؤدي بالضرورة إلى سلوك عنيف؛ إذ يمكن أن ينتج عنه أنماط سلوكية أخرى مثل طلب العون أو الانسحاب أو حتى اللجوء لتعاطي المخدرات والخمور. ويتداخل في ذلك العديد من العوامل المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية للفرد.

رغم أهمية هذه النظرية إلا أنها تعرضت لانتقادات عدة. فمثلاً، لا يمكن اعتبار كل سلوك بشري نابعاً من الغرائز فقط؛ ولو كان هذا صحيحاً لأصبح اهتمام الإنسان منصباً على إشباع غرائزه فقط، ما يجعل السيطرة على السلوك العدواني أمراً شبه مستحيل. كما أن هذه النظرية ركزت بشكل مفرط على الطاقة الجنسية كدافع رئيسي للسلوك الإنساني وأهملت تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية.

ورغم هذه الانتقادات، يبقى التفسير التحليلي المستمد من مدرسة التحليل النفسي ذا أهمية كبيرة، خاصة وأن العديد من المنحرفين عن السلوك السوي بحاجة إلى علاج نفسي أكثر من العقاب. لفهم السلوكيات العنيفة لهؤلاء الأفراد، يجب تسليط الضوء على دوافعهم الحقيقية بدلاً من الاكتفاء بتطبيق العقوبات عليهم.

2- **المقاربة البيولوجية:**

ركزت النظرية البيولوجية على التأكيد بأن العدوان يُعتبر سلوكًا فطريًا، حيث تربطه بعلاقة سببية بين المُثير والاستجابة التي تهدف إلى السيطرة على النزعات العدوانية. بناءً على هذه الرؤية، يُمكن تعريف العدوان على أنه سلوك غريزي، ترتكز ميول العدوانية فيه على استجابات غير مُتعلمة تُعتبر موروثة، حيث يولد الكائن مزودًا بها منذ مجيئه إلى هذا العالم. ومع ذلك، فإن هذه الاستجابات قد تخضع لتغييرات تبعًا للتفاعل مع الواقع والتمرين. ووفقًا للتفسير البيولوجي للسلوك البشري، يُشكِّل التكوين البيولوجي للفرد العامل المركزي في تحدي سلوكه.

تُعد أعمال "لومبروزو" مثالًا بارزًا في هذا السياق؛ فقد أشار إلى وجود ارتباط واضح بين السلوك الاجتماعي والسمات الجسمية، ولا سيما خصائص الوجه. تُركز أبحاث "لومبروزو" بوجه عام على مفهوم التكوين الفطري في تفسير السلوك الإجرامي، مما يعكس تأثير العوامل البيولوجية في صنع القرارات السلوكية. من جهة أخرى، اعتقد "شلدون" أن السلوك الإنساني يمكن تفسيره على أساس محددات جسمية، حيث رأى أن البناء الجسمي يُشكل عنصرًا حاسمًا في فهم السلوك الإنساني. بناءً عليه، اقترح إمكانية التنبؤ بالسلوك عن طريق تحليل السمات الجسمية الظاهرة باستخدام طرق قياس دقيقة (إسماعيل، 1988: 64).

أما العالم "كونراد لورينز"، فقد قدم رؤية إضافية حول النزعة العدوانية، لافتًا إلى ارتباطها بدوافع داخلية تعكس حاجة بيولوجية. وفقًا لهذا الطرح، يُوجَّه سلوك العدوان في البداية نحو أفراد من نفس النوع. وتُظهر دراسات "لورينز" أن السلوك العدواني العنيف يعكس حالة وجودية تُعبِّر عن سلوك غريزي مُنْبثق عن دوافع بيولوجية داخلية. ومن هذا المنطلق، يؤكد مفهوم العنف الذي يحيط بنا يوميًا على أنه نتيجة حتمية لدافع غريزي لا يمكن تجاهله (إسماعيل، 1988: 28)

3- **المقاربة الاجتماعية:**

تركّز هذه المقاربة على الجوانب النفسية والاجتماعية للفرد، وكذلك الظروف والمتغيرات التي دفعته إلى استخدام العنف والعدوان كوسيلة للتعبير عن شخصيته ومواجهة العقبات والشعور بالفوارق الاجتماعية الحادة التي تعيق تحقيق أهدافه. ويتجاوز الأمر مجرد التخريب أو التدمير ليشمل انعكاسات هذه الظروف في العديد من المظاهر داخل بيئته الاجتماعية. وفي هذا السياق، يمكن تناول مجموعة من النظريات التي تسهم في تفسير السلوك العنيف، وهو ما سيتم توضيحه فيما يلي

- **نظرية التعلم الاجتماعي:**

يعتقد مؤيدو هذه النظرية أن العنف سلوك مكتسب يتعلمه الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي. تركز النظرية على دراسة أثر التعلم بالمراقبة والنمذجة، مما يعني اكتساب السلوك عبر ملاحظة وتقليد النماذج الأخرى. وقد تم تسليط الضوء ضمن هذا الإطار على دور النمذجة في العديد من الأنماط السلوكية التي تشمل تعاطي الكحول، التدخين، المخاوف المرضية، السلوك الجنسي غير السوي، والسلوك العدواني. يرى "باندورا" (Bandura) أن تقليد النماذج يلعب دورًا كبيرًا في تعليم الطفل استجابات جديدة، حيث يقوم الأطفال بمحاكاة السلوك الجديد الذي يرونه. ويشير إلى أن تعرض الطفل لسلوك عدواني من قبل الكبار يؤدي إلى كبت ضعيف لرغباته العدوانية الكامنة، مما يتيح لهذه الرغبات التعبير عن نفسها دون قيود أو عوائق.

كذلك، يشدد باندورا على تأثير التكرار في رؤية الأطفال لنماذج العدوان والعنف، سواءً كانت من الوالدين أو الأقارب أو وسائل الإعلام. هذه المشاهدات المستمرة تُحفّز الأطفال على سلوكيات عدوانية مشابهة (أبو زهري وآخرون، 2008: 131). في هذا السياق، أجرى والتر باندورا في عام 1983 دراسة تناولت عوامل مثل أساليب التربية الوالدية، ودور الأب والأم كنماذج يحتذى بها، بالإضافة إلى تأثير ذلك على سلوك الطفل العنيف. أظهرت الدراسة أن الطفل غالبًا ما يقلد سلوك والديه بشكل مباشر. كما تربط النظرية بين مصادر العنف والأساليب التربوية السلطوية والتنمية الاجتماعية القاسية، فضلاً عن التعرض لمحتوى إعلامي مثل أفلام الكرتون التي تتضمن قصص البطولة والسلوكيات العنيفة، مما يُعزز الميل إلى تقليد تلك الأفعال (أبو زهري وآخرون، 2008: 134).

ويلخّص باندورا تفسيره لظاهرة العنف وفق النقاط التالية:

- معظم السلوكيات العدوانية يتم اكتسابها عبر المراقبة والتقليد من الأقران والنماذج الرمزية.
- يتشكل السلوك العدواني استنادًا إلى تجارب الفرد السابقة.
- التعلم المباشر للسلوكيات العدوانية يحدث عند تحفيز الفعل العدواني بشكل صريح في أي وقت.
- يتم تعزيز هذا السلوك من خلال المكافأة أو التشجيع الإيجابي.
- يتسبب التعرض للهجوم الجسدي أو التهديد والإهانات أو الإحباط الناتج عن عرقلة تحقيق الأهداف أو توقف الدعم الموجّه في تحفيز السلوك العدواني.
- العقاب، بدلًا من تقليل العنف، قد يؤدي أحيانًا إلى زيادته (الفسفوس، 2006: 21).

- **نظرية الضبط الاجتماعي:**

ترتكز هذه النظرية، التي يدعمها المتخصصون في مجال علم الاجتماع، على فكرة أن العنف يمثل غريزة إنسانية كامنة تظهر حين يفشل المجتمع في ضبط أفراده والسيطرة عليهم بصورة فعالة. ويشير مؤيدو هذه النظرية إلى أن الوقاية الأساسية من العنف تعتمد على وجود مجموعات اجتماعية تعمل على تثبيط مثل هذه السلوكيات. أما الأشخاص الذين لا يتأثرون بالتوجيه أو الضبط من أسرهم أو من المجموعات الأولية المحيطة بهم، فتتولى سلطة القانون وإجراءات الشرطة مهمة تنظيم سلوكهم والتحكم به. ومع ذلك، عندما تفشل هذه الآليات في تحقيق الغرض المطلوب، يظهر العنف كمظهر خارجي لهذه الغريزة. انطلاقًا من هذا المفهوم، يعد التدخل المجتمعي الأداة الأكثر أهمية للتعامل مع السلوك العنيف والحد منه.

وفقًا لما أشار إليه السمري عدلي (1994)، تقدم نظرية الضبط الاجتماعي رؤية للطبيعة البشرية تفترض أن الانحراف سلوك طبيعي ومألوف، يظهر في إطار وجود نظام أخلاقي وإطار مرجعي تقليدي داخل المجتمع. ومن خلال هذا الطرح، تعتبر النظرية المؤسسات الاجتماعية أدوات تحكم تعزز الروابط بين الأفراد والنظام الأخلاقي، مع الإشارة إلى أن ضعف هذه الروابط يؤدي تلقائيًا إلى ظهور مستويات أعلى من الانحراف.

يرى مؤيدي نظرية الضبط الاجتماعي أن الدفاع الأساسي للمجتمع يتمثل في معايير الجماعة التي تعارض العنف وتنبذه. وعندما تتعطل وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية في التحكم بالسلوك، يظهر العنف بين أفراد المجتمع. للتعمق أكثر، يمكن تلخيص أبرز المحاور الأساسية للنظرية كالتالي:

- يُنشئ المجتمع مجموعة من القواعد التنظيمية التي توضح للأفراد السلوكيات المقبولة وغير المقبولة ضمن الأنماط الاجتماعية.
- تُعد التنشئة الاجتماعية الوسيلة الأكثر أهمية التي يعتمدها المجتمع لضمان الضبط.

- عندما تضعف أدوات الضبط الاجتماعي، يكون سلوك الأفراد أكثر ميلاً للانحراف بدلاً من الالتزام بالتوافق المجتمعي. (الفسفوس، 2006: 34)

النقطة الجوهرية التي يجب التركيز عليها هنا هي أن هذه النظرية تفترض وجود دافع طبيعي للانحراف لدى جميع الأفراد، بينما الطاعة والامتثال هما ما يجب أن يتم تعلمه واكتسابه. بناءً على ذلك، تعتبر النظرية أن المعيار الاجتماعي الأول للدفاع عن المجتمع ضد الانحراف يتمثل في قيم ومعايير الجماعة التي ترفض العنف وتعتبره سلوكًا غير مقبول ومستهجن اجتماعيًا.

- **النظرية البيئية في تفسير العنف:**

تمثل البيئة الأسرية الركيزة الأساسية في حياة الإنسان، فهي أول ما يتفاعل معه منذ لحظة ميلاده، ليعيش فيها سنواته الأولى التي تحمل تأثيرًا عميقًا في تشكيل شخصيته. بعد ذلك، تأتي البيئات الخارجية كعامل مكمل ومؤثر مهم في بناء شخصية الفرد، مثل المدرسة، والشارع، والمسجد، وأماكن العمل أو الترفيه كالمصنع والنادي والمقهى. (أبو زهري وآخرون، 2008: 45).

عندما تغيب مظاهر التفاهم والشعور بالدفء داخل الأسرة بسبب استخدام العنف اللفظي والبدني، أو نتيجة لضعف التوجيه الصحيح لسلوك الطفل وتوجيهه نحو نشاطات إيجابية سوية، بالإضافة إلى الحماية المبالغ فيها أو القسوة الشديدة، فإن ذلك غالبًا ما يؤدي إلى ظهور السلوك العنيف لدى الطفل منذ صغره. فالعنف، كأي سلوك آخر، هو نتاج تعلم في الغالب، ويتعزز داخل الأسرة عندما تسود ظروف غير صحية في التربية. حيث يعمد بعض الآباء إلى ترسيخ فكرة أن العنف وسيلة فعالة لتحقيق السيطرة على الآخرين أو للحصول على ما يريدونه. هذا النمط التربوي الخاطئ يعزز انتقال السلوك العدواني من جيل الآباء إلى الأبناء، مما يؤدي بدوره إلى تفاقم دائرة العنف داخل المجتمع. (الفسفوس، 2006: 62)

- **نظرية ثقافة العنف أو نظرية الثقافة الفرعية:**

تتمحور هذه النظرية حول أحد المداخل الحديثة لتفسير ظاهرة العنف، حيث تستند إلى افتراض وجود "ثقافة العنف" داخل المجتمع. يُطلق البعض عليها اسم "نظرية الثقافة الفرعية".

يوضح كوهين (1955) أن الثقافة الفرعية تتشكل من خلال التفاعل بين أفراد المجتمع، وتتمثل في أنماط سلوكية منظمة تتعارض مع أنماط الثقافة السائدة أو "الثقافة الأم". تظهر هذه الثقافة الفرعية عبر وسائل الإعلام أو السرديات التي تُشيد بالعنف، أو من خلال وجود قوانين ومعايير تسود العلاقات الاقتصادية والاجتماعية وتعكس أفكاراً تتماشى مع مفاهيم العنف بل وتحث عليه. بذلك، تُكرّس هذه الثقافة مبدأ "البقاء للأقوى"، مما يزيد من احتمالية انتشار العنف. وفقاً لهذه القوانين والمعايير، يُعاد إنتاج ثقافة مجتمعية تُضفي طابع التمجيد والتعظيم على السلوك العنيف (العيسوي، 1997: 157).

من جانبه، يرى ريشار لورانس (1989) أن الباحثين القائلين بتفسيرات تعتمد على "الثقافة الفرعية" يميلون إلى اعتبار قيم واتجاهات شباب الطبقة الدنيا مغايرةً لقيم الطبقة الوسطى. فالشباب الذين يعانون من الفقر والمشكلات الاجتماعية والجريمة يتبنون قيماً واتجاهات تختلف عن تلك الشائعة في الطبقات الأخرى. في البيئات التي يسود فيها العنف والجريمة، ينظر الأفراد إلى السلوك المناهض للقانون على أنه مألوف وربما مقبول. كما تُعتبر انتهاكات القانون، مثل السرقة أو الاتجار بالمخدرات والدعارة، وسيلةً مشروعة لمواجهة البطالة والفقر من قِبل بعض الأفراد، بينما يتم تفضيل استخدام القوة الجسدية والتهديدات بدلاً من الحوار كأداة لحل النزاعات.

تكشف هذه النظرية عن أن الاتجاهات نحو العنف تختلف بين الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد. وتتميّز الثقافة الفرعية المرتبطة بالعنف بأنها تُشجع على تبني مواقف إيجابية تجاه العنف، مما يساهم في تعزيز السلوكيات العنيفة بشكل متكرر. كما تُعلي هذه الثقافة من قيمة القوة والخشونة، وتشجّع السلوكيات العدوانية لدى الذكور على وجه الخصوص. (العيسوي، 1997: 158).

مع ذلك، وُجهت للنظرية عدة انتقادات. ومن أبرزها أن فكرة ارتباط العنف بالذكورة ليست نمطاً ثابتا وشاملاً بين أفراد المجتمع. ويرى المعارضون لهذه النظرية أن الذين يلجؤون للعنف ليسوا بالضرورة عدوانيين بطبيعتهم، بل أن السياق أو الظروف المحيطة قد تدفعهم إلى تبني ذلك السلوك بشكل قسري أو استثنائي.

4- النظرية السلوكية وتفسيرها لظاهرة العنف:

تشير النظرية السلوكية، التي أرسى قواعدها كل من واطسن وبافلوف في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين باعتبارهما رائدي المدرسة السلوكية المبكرة، إلى وجود علاقة جوهرية بين المثير والسلوك. هذه النظرية تعتمد على فرضية تفيد بأن السلوك البشري مكتسب من خلال التفاعل مع البيئة والمواقف الحياتية المختلفة، وأن تكرار السلوك يؤدي إلى تكوين عادات تُمارَس بانتظام. ووفقاً للمريخي، فإن الاعتياد على سلوك معين يعزز اكتسابه واستمراره.

يشدد واطسن على أن السلوك العدواني لدى الأفراد تحكمه المثيرات البيئية، إذ يرى أن ازدياد المثيرات المؤدية للاستجابات العدوانية يعزز تنامي نزعة العدوان. وقد أطلق على هذا المفهوم "مبدأ التكرار"، والذي لا يتحقق إلا عندما يُدعم السلوك ويُعزَّز. وبذلك، تصبح صفة العدوان مرتبطة بتكرار المثيرات المصاحبة لها ومدى تدعيمها.

من جانبه، يوضح سكينر أن السلوك الإنساني متعلم بطبيعته ويتأثر بعوامل مستقلة في أساسها، مما يعني أن الفرد قد يظهر أنماطًا مختلفة من السلوك حسب الموقف وتاريخ تعلمه. فعلى سبيل المثال، قد يكون الشخص عنيفًا وعدوانيًا في بعض الظروف، لكنه يبدو عطوفًا وحنونًا في مواقف أخرى. هذه الديناميكية تعكس تداخلاً بين تاريخ التعلم السابق للفرد والظروف الراهنة (الزعبي، 2001 :125).

كما يشير سكينر إلى أن الثواب والعقاب يلعبان دورًا مركزيًا في تشكيل السلوك الإنساني؛ إذ يميل الأفراد إلى تكرار السلوك الذي يُثابون عليه، بينما يقل احتمال تكرارهم للسلوك الذي يعاقبون عليه. ينطبق هذا المبدأ على سلوكيات العدوان والعنف، حيث إن مكافأة السلوك العدواني، حتى وإن كانت غير منتظمة، تسهم في تأييده وتعزيزه (إبراهيم، 2008 :42).

أما السلوكيون الجدد مثل دولارد وميللر، فقد ركزوا على تأثير الصراعات اللاشعورية المبكرة في تشكيل السلوك الانفعالي والعدواني في المراحل العمرية اللاحقة. يؤكدان على أن الطفل يكتسب أنماطًا عصابية وسلوكيات منحرفة كنتيجة للمعاملة الوالدية السيئة أو الإساءة لعملية نموه النفسي. ومن هذا المنطلق، شددا على أهمية الخبرات المكبوتة والمحتويات اللاشعورية باعتبارها عوامل حاسمة في تعلم السلوك (القريطي، 1998 :63).

بناءً على ما تقدم، يمكن استخلاص أن تفسير النظرية السلوكية لظاهرة العنف يقوم على فكرة أن العنف ليس سوى سلوك مكتسب من البيئة المحيطة. وبالتالي، فإن المثيرات التي تعزز سلوك العنف تلعب دورًا أساسيًا في استمراريته. ويؤكد أصحاب هذه النظرية أنه يمكن تعديل هذا النوع من السلوك وفقًا لقوانين التعلم التي تعتمد على تغيير المثيرات وتعزيز الأفعال الإيجابية بدلاً من السلبية.

5- النظرية المعرفية المفسرة للعنف:

بحث علماء النفس المعرفيون بجهود مكثفة في محاولة لفهم كيفية إدراك العقل البشري للوقائع والأحداث المختلفة ضمن المجال الإدراكي والحيز الحيوي للإنسان، وذلك في سياق المواقف الاجتماعية المعيشة وما يترتب عليها من انعكاسات على الجانب النفسي للفرد. وقد أشارت الدراسات إلى أن هذه الظروف تسهم في تكوين مشاعر سلبية مثل الغضب

والكراهية، والتي تتحول إلى إدراك داخلي قد يدفع الإنسان نحو السلوك العدواني. انطلاقًا من ذلك، طوّر العلماء طرائق علاجية تستهدف التحكم بهذا النمط من السلوك من خلال تعديل البنية الإدراكية، ويتم ذلك عبر تزويد الأفراد بالمعلومات المتاحة التي توضح الموقف بشكل جلي، مما يزيل أي غموض قد يؤثر على إدراكهم للحالة ويعينهم على فهم العلاقات السببية بشكل كامل (نوح الشهري، 2009: 18).

في هذا السياق، يشير كيلي إلى أن القلق يتولد لدى الشخص عندما يعجز الجهاز الإدراكي الخاص به عن توفير آلية للتعامل مع تجربة معينة، أو عندما يفشل في تسمية هذه التجربة أو استيعابها ضمن نظامه المعرفي. كما يؤكد أن الإحساس بالتهديد يحدث عندما يشعر الفرد بأن تغيرًا جوهريًا يوشك أن يطرأ على بنيته الإدراكية، وهو ما قد يدفعه إلى اتخاذ سلوكيات خطيرة مثل الانتحار بوصفها ناتجًا مباشرا لهذا العجز الإدراكي (الزعبي، 2001: 145).

من جهة أخرى، يرى ألبرت إليس أن الإنسان يتحكم في مصيره بناءً على القيم والمعتقدات التي يتبناها ويتصرف على أساسها. ووفقًا لإليس، فإن الاضطرابات النفسية والسلوكية تحدث عندما يميل الفرد إلى التفكير أو التصرف بطريقة مشوشة وغير واضحة نتيجة تبنيه أفكار خاطئة. ويتسبب هذا النوع من الانحراف الفكري في عواقب مدمرة، مثل التقليل من الذات أو إضعافها أو حتى تدميرها بالكامل، مما يؤدي إلى تأثير سلبي كبير على سعادة الأفراد وقدرتهم على الاستمرار في الحياة (الزعبي، 2001: 153).

أما فيما يخص النظرية المعرفية للسلوك العدواني، فإنها تتفرع إلى اتجاهين أساسيين. الاتجاه الأول يُعرف بـ "العدوان الانفعالي"، وهو العدوان غير المرتبط بنشاط تفكيري كبير ويعتمد بشكل أساسي على المشاعر الانفعالية وما يمكن اعتباره محركًا لهذه المشاعر. ويرى هذا الاتجاه أن الأفكار تملك تأثيرًا جوهريًا على السلوك الانفعالي، حيث تمثل كيفية تفسير الفرد لحالته الانفعالية دورًا أساسيًا في استجابته للسلوك العدواني. أما الاتجاه الثاني فهو "العدوان الإبداعي"، والذي يسعى إلى فهم المستويات الظاهرة والمستترة للعدوان الإنساني. يتم استخدام هذا الاتجاه بشكل كبير في مجال العلاج النفسي والإكلينيكي لمساعدة الأفراد العدوانيين على إدارة سلوكياتهم بصور صحية وأكثر استدامة. (الفسفوس، 2006: 21)

على الرغم من تباين وجهات نظر علماء النفس المعرفيين حول التفاصيل الدقيقة لهذه المواقف والسلوكيات، إلا أنهم يتفقون جميعًا على أن الاضطرابات النفسية والسلوكية وسلوكيات الإجرام تعود بالأساس إلى خلل أو قصور معرفي في التعامل مع الموضوعات والتجارب المختلفة.

6- النظرية التكاملية المفسرة للعنف:

تُعد النظرية التكاملية إحدى أبرز النظريات المعاصرة التي تناولت دراسة السلوك الإنساني، حيث تطرح تصوراً عميقاً للعنف باعتباره ظاهرة إنسانية واجتماعية متعددة الأبعاد ومتشابكة في آن واحد. هذه النظرية ترفض اعتماد النظرة الأحادية أو التفسير الأوحد للعنف الذي يُفسّر الظاهرة من جانب واحد فقط، معتبرة أن مثل هذا النهج لا يتماشى مع الطبيعة المعقدة والمتشابكة للعوامل المؤدية للعنف. وتؤكد النظرة التكاملية على أهمية دمج التخصصات المختلفة وتوظيف النتائج المستخلصة من كل مجال لتحقيق فهم أكثر شمولية لهذه الظاهرة.

من منظورها، تُعتبر النظرة التكاملية بمثابة "الفهم النفسي المتداخل" للعنف، حيث تستند إلى تحليلات وتفسيرات سابقة، وكل منها يشير إلى جانب محدّد من الظاهرة. لكن الإشكالية تكمن في أن الدراسات السابقة لم تتمكن من توفير تغطية شاملة لجميع جوانب الظاهرة، ما يجعل الاستفادة المتزامنة من تلك التحليلات المعرفية ضرورةً اجتماعية ونفسية ومنهجية للوصول إلى فهم ناضج ومتكامل للعنف (الشهري، 2008: 30-31).

وعليه، تؤكد النظرية أن العوامل المؤدية إلى العنف متعددة ومتشابكة، إذ ترتبط بعضها بالفرد ذاته وتشمل الجوانب البيولوجية والنفسية، فيما ترتبط عوامل أخرى ببيئة الفرد المحيطة وظروفه الاجتماعية. بناءً على ذلك، لا يمكن اختزال

ممارسات العنف التي قد تصدر عن الفرد في عاملٍ واحد فقط، بل هي نتاج تفاعل ديناميكي بين مجموعة متداخلة من العوامل النفسية والبيئية والبيولوجية. كما تشدد النظرية على عدم إمكانية الفصل بين الفرد وبيئته، حيث تتسم العلاقة بينهما بالتأثير المتبادل؛ كلٌّ منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به بشكل مستمر.

تكشف النظريات السابقة عن تعدد أسباب العنف النفسي ضد الأطفال حيث تتداخل العوامل النفسية الداخلية مع التأثيرات الاجتماعية والبيئية، والعنف النفسي لا يمكن تفسيره فقط من خلال منظور فردي بل يجب النظر اليه كظاهرة معقدة تشمل تفاعلات متعددة كما أن فهم هذه النظريات يمكن أن يساعد في وضع استراتيجيات علاجية وتربوية مناسبة تستهدف الاسرة والمجتمع.

الخاتمة:

1- الاستنتاجات:

بناءً مما سبق ذكره من مقاربات ، نلاحظ أن جميعها تفتقد الى الشمولي للطفل ، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الطفل متعدد الابعاد (نفسي ، اجتماعي ، فسيولوجي ، معرفي .....) ، حيث نجد أن جميع هذه المقاربات انتهت إلى التركيز على بعض الأسباب ، و إهمال البعض الآخر ، فالاتجاه البيولوجي يقر بأن الطفل عنيف بطبعه ، وهو حصيلة لمجموعة من الخصائص البيولوجية ، معنى يولد الانسان محملاً بجينات العنف من والديه فلا حيلة من ذلك ، أما أنصار الاتجاه جميع النفسي ، فيقولون بأن العنف النفس سمة من سمات الشخصية و أن الانسان عدواني بالفطرة ، حيث ربطوا العنف بغريزتي الموت و الحياة ، حين ربطت نظرية التعلم الاجتماعي سلوك العنف النفسي بالملاحظة و التقليد ، فالأطفال يتعلمون السلوك العنيف بنماذج تقدمها الاسرة و الأصدقاء ، ومختلف المجموعات البشرية ، أما النظرية التكاملية فهي تربط بين كل هذه النظريات ، إذ تؤكد على أن الطفل كل متكامل ، فسلوك العنف يحدث نتيجة عوامل بيولوجية عضوية ، نفسية وبيئية .

وبناءً على ذلك فإذا أردنا تفسيراً متكاملاً وشمولياً لظاهرة العنف النفسي ضد الأطفال فيجب التسليم بأنها مجموعة من العوامل المتفاعلة البعض منها ذاتي والبعض الاخر راجع لمواقف الحياة التي نعيشها بما يتخللها من احباطات وصراعات وثواب وعقاب والبعض الآخر الذي ينجم عنه العنف النفسي يكمن في التنشئة الاجتماعية والتي يتعرض لها الطفل من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

التوصيات:

توصلت الباحثة الى العديد من التوصيات تمثلت في تبيان استراتيجيات الوقاية من العنف النفسي الممارس ضد الأطفال في تحقيق الحماية من الأذى من خلال الإجراءات والتوجيهات والمعايير الهادفة الى وقاية الأطفال من الأذى النفسي المتعمد والغير متعمد، واعتماد المناهج المناسبة للاستجابة الفورية لدرء الخطر أو معالجته.

وتقضي الوقاية من إساءة معاملة الطفل اتباع نهج متعدد القطاعات. والبرامج الفعالة في هذا المجال التي تعمل على تلقين المهارات الإيجابية اللازمة لتربية الأطفال ورعايتهم وتشمل تلك الاستراتيجيات على ما يلي:

- تثقيف آباء الأطفال من أجل تحسين مهاراتهم في مجال تربية الأطفال ورعايتهم، وتحسين معارفهم، في ميدان نماء الأطفال، وتشجيعهم على انتاج استراتيجيات إيجابية فيما يخص إدارة الطفل.
- خلق بيئات أسرية آمنة، ومستدامة، ومواتية، تلبية الاحتياجات الخاصة من المساعدة، والدعم للاسر المعرضة للعنف النفسي.
- تعديل البيئات غير الآمنة من خلال تغييرات مادية.
- الحد من عوامل التعرض للمخاطر في الأماكن العامة مثل المدارس، وأماكن تجمع الأطفال بهدف الحد من مخاطر العنف النفسي ضد الأطفال.

- التصدي لأوجه الاجحاف بين الجنسين من الأطفال في البيت، وفي المدرسة، وما إلى ذلك.
- ضمان أن الأطر القانونية تحظر العنف النفسي ضد الأطفال.
- إتاحة حصول الأطفال المتضررين من العنف النفسي على خدمات عالية الشدة.
- القضاء على أوجه الإجحاف الثقافية والاجتماعية، التي تسهم في وقوع العنف النفسي ضد الأطفال.

المراجع :

1- إسماعيل، عزت سيد (1988)، سيكولوجية الإرهاب وجرائم العنف، منشو رات ذات سلاسل، الكويت

2- إبراهيم، حسين توفيق (1996)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز الدراسات للوحدة العربية، بيروت.

3- إبراهيم، جمال الدين ايمان (2008)، العنف كما يدركه المراهق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، معهد الدراسات العليا للطفولة، القاهرة

4- بكري، أمل، وعجوز، نادية (2007)، علم النفس المدرسي، دار المعتز للنشر والتوزيع، الأردن.

5- حجازي، مصطفى (1980)، المتخلف الاجتماعي مدخل سيكولوجية الانسان المقهور، معهد الانماء العربي، لبنان.

6- سهام، وناسي (2017)، العنف الاشكال والعوامل والنظريات المفسرة له، بحث منشور، مجلة آفاق العلوم، جامعة باتنة1، العدد (9).

7- طاوس، هشام (2010)، التكفل المعرفي لضحايا العنف الزوجي، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، الجزائر.

8- عبد القادر طه، فرج (1993)، موسوعة علم النفس والتحليل الاجتماعي، دار سعاد الصباح، الكويت

9- عمارة، الزين عباس (1986)، مدخل الى الطب النفسي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، بيروت.

10- عبد اللطيف، عصام (2001)، سيكولوجية العدوانية وترويضها، دار غريب، القاهرة.

11- فاطمة، عبدي (2023)، ماهية العنف، مفهومه، أنواعه، مظاهره، وأهم النظريات المفسرة له، بحث منشور، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، المجلد (24)، العدد (1).

12- كاتبي، محمد عزت عربي (2012)، العنف الأسري الموجه نحو الأبناء وعلاقته بالوحدة النفسية، مجلة جامعة دمشق المجلد 28، العدد 1.

13- العيسوي، عبد الرحمن (1997)، سيكولوجية المجرم، دار الراتب الجامعية، مصر.

14- هدية، فؤاد (1998)، الفرق بين الأبناء المتوافقين زوجياً وغير المتوافقين زوجياً في كل من درجة العدوان ومفهوم الذات، مجلة علم النفس، العدد 12 ، القاهرة، الهيئة المصرية.

15- القريطي، عبد المطلب أمين (1998)، في الصحة النفسية، دار الفكر العربي، القاهرة.

16- الريماوي، محمد عودة (1998)، في علم نفس الطفل، دار الشروق، مصر.

17- السمري، عدلي (1994)، السلوك الاجرامي: النظريات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.

18- الزعبي، محمد أحمد (2001)، الارشاد النفسي: نظرياته، مجالاته، ماسة الثقافة العربية، الأردن.

19- محمد، سعيد فرح (1993)، الطفولة والثقافة والمجتمع، دار المعارف، الإسكندرية، مصر.

20- الفسفوس، عدنان أحمد (2006)، الدليل الارشادي لمواجهة السلوك العدواني لدى طلبة المدارس، المكتبة الالكترونية، أطفال الخليج.

21- الشهري، عبد الله أبو عراد (2008)، فعالية الارشاد الانتقائي في خفض مستوى العنف لدى المراهقين. رسالة منشورة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس، جامعة نايف للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.

22- النجار، يحيى محمود (2009)، علاقة العنف الأسري ببناء سيكولوجية الطفل، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 23.

23- العطار، محمود مغازي (2017)، خبرات العنف الاسري الموجه نحو الأبناء في مرحلة الطفولة وتأثيرها على المعاناة من الاكتئاب والوسواس القهري، المجلة التربوية، العدد (47)، مصر.

24- منى، يوسف (2006)، نحو استراتيجية لمواجهة العنف في المجتمع المصري، المركز القومي، مصر.

25- نوح الشهري، عبد الرحمن (2009)، العنف لدى طلاب المرحلة المتوسطة في ضوء بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية، رسالة ماجستير في الارشاد النفسي، جامعة أم الفرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

1- DeVoe, E. R., Dean, K., Traube, D. E., & McKay, M. M.(2005)August. TheSURVIVE CommunityProject. https://scite.ai/reports/10.1300/j146v11n04_05

2- Devaney, J. (2008, October 6). Chronic child abuse and domestic violence: children and families with long-term and complex needs. https://scite.ai/reports/10.1111/j.1365-2206.2008.00559.x

3- Fabris, M. A., & Longobardi, C. (2023, January 9). Editorial: Towards 2030:

4- Sustainable Development Goal 16: Peace, justice, and strong institutions. Aneducationa perspective. https://doi.org/10.3389/feduc.2022.1130832

5- PINATEL, J. (1977), Trait de droit pénal et de criminologie t.3. La criminologie. Paris. Dalloz ma édition.

6- Mascenik, J. (2021, December 1). Experimental Assessment if Changes in Structural Steel Composition by Progressive Technology Cutting. https://doi.org/10.2478/mspe-2021-0033